

الاطار العام للمناهج في المدارس العراقية واثره في تعليم اللغة وسلامتها

د. عبد العباس عبد الجاسم

وزارة التربية- العراق

تقديم:

ان العلم اساس الحياة وعلة وجودها والمحرك ا لفاعل لتطورها، ما حدا بالمبادئ والشرائع ان تولي هذه الميزة الانسانية كبير أهمية لا تضاهيها أخرى، فلقد جاء في مأثور القول إنه من أراد عزا بلا عشيرة وقوة بلا سلطان فليتنجه الى العلم، وان الله سبحانه يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء، وكذاك الأمر في قول الشاعر:

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وهذا العلم الذي يطمح إليه الانسان ليحيا به حياة حرة كريمة لا يمكن ان يكون حاصلها الا من خلال معاهده ومراكزه التي تعنى به وتتعهده مع واردي ينابيعه، وبذا تكون المدرسة الملاذ الامن لبرامج العلم والمعرفة، ولا يمكن لهذا المعين ان يرفد بعطائه الامن خلال منهج يبنى على اسس علمية، قال سبحانه " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة / 48)، ويرى كثير من المفكرين صواب ذلك. يقول الفيلسوف الالمانى "كانت": ان أهم ما يميز الانسان من الحيوان أن الانسان لا يستطيع ان يصبح انساناً الا بالتربية. وهذه التربية لا يمكن ان يكتب لها النجاح والفاعلية الا من خلال منهج علمي رصين يؤتي اكله كل حين، لانه ينطلق من مفهوم صائب تنسجم فيه العطاءات العلمية لخلق انسان يستثمر حياته على وفق اسس تكون فيه المبادئ اللغوية حلقة الوصل بين ميادين العلوم كافة، لانها أي: اللغة أم العلوم، والوصل الرابط لجميعها، فلولاها لفسدت المفاهيم ولتعطلت الحياة، ثم ان مكانة اللغة تزداد اهمية حين ترتبط بقضية المطالب

وبناء الحياة، وذلك ما تجسد في اللغة العربية التي تفردت به من بين كل لغات العالم التي سبقت وجودها واللاحقة بها في قابل الايام، اذ اوضحت لغة التنزيل العزيز وعنصر التحدي لأساطين اللغة العرب الذين تحداهم الذكر الحكيم على ان يأتوا بسورة واحدة منه فبهتوا، وخرؤا له سجدا في الاعتراف بروعته وبلاغته، ما حدا بالوليد ابن المغيرة الى القول: وأيم الحق ان به لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وان اعلاه لمعذق، وان اسفله لمغذق، وانه يعلو ولا يُعلَى عليه، ما جعل الاهتمام بلغة العرب من لدن المناهج بالغا ومهما في دقة العناية بتعليم المفردة والحرف صوتا ورسمًا، أي: رمزا، ذلك لان العربية نابعة من حقيقة علمية معرفية لا اعتباطية، في حروفها الذي عده أئمة اللغة كتابا، لانه يحمل دلالاته على معناه من خلال لفظه، ما يجعل تعليمه ذا بعد ثابت راسخ في ذهنية المتعلم إذا توافر له ميسر يعي روعة الحرف وقديسية المفردة بحيث تكون مهمة المعلم نبيلة، لها ثوابها عند الله عظيما، لانها لغة القرآن العزيز، وقد كمنت معجزته في روعة مفرداته وجمالية عباراته وانسيابية تركيبه.

- أهمية المناهج:

تعد المناهج الوثيقة الرسمية المعبرة عن طموح السلطة التنفيذية في انتشال الانسان في وطننا العراق من براثن الجهل وما يفرزه من نتائج سلبية تعطل مسيرة البناء لتفشي المرض وسيطرة الفقر على الواقع الاجتماعي، وما يخلفه من هدر للطاقات البشرية نتيجة سيطرة الامية على السواد الاعظم من ابناء الامة، وما تفرزه هذه العاهة من ضياع للطاقات البشرية التي تكون في الواقع العلمي من خلال انتشار التعليم قبسا متقدما بالخير والمعرفة، ولا سيما المجتمع العربي، وذلك لأن لغة العرب لغة مقدسات وابداع، لارتباطها بالتنزيل العزيز القران ثم انها تمثل قمة النشاط الابداعي لدى العرب، لان الصحراء العربية قست بأذى طموحات الانسان العربي، ولما

كان الانسان مبدعا بطبعه وكيونته فلقد صبَّ كامل ابداعه في لغته، فجاءت غاية في الروعة من فصاحة المفردة في مناسبة اللفظ للمعنى، ودلالة الحرف على مدلوله ان المنهج وثيقة رئيسة لتنظيم النظام التعليمي في الوطن العراق؛ اذا يقوم الاطار بتوجيه القائمين على التعليم والاطراف المعنية بشأن الالوجه الرئيسية لاليات تصميم المنهج وتنفيذه كاساس لتوفير التعليم ذي الجودة للجميع، (1) يكون فيه الاهتمام بتعليم اللغة رأس الحربة في محاربة الامية والجهل، واللبننة الاساسة الاولى في بناء صرح التقدم و التطور، واللاحق بركب الحضارة والتقدم الإنساني، والتركيز على إتقانها وتعميق حبها بوصفها لغة ذات عطاء وافر والعناية بادابها وعلومها الفنية، وربط ذلك بالثقافة والقيم التربوية القادرة على المساهمة في تنظيم الفكر والارتقاء بالذوق الادبي والفصاحة العربية (2).

ان الاطار يعمل على توفير تعليم عالي الجودة للجميع بوصفه حقا من حقوق الانسان، وتطوير مناهج متكاملة ومتوازنة ومرنة ومتقدمة تعمق مهارات وتوجهات احترام حقوق الانسان والمساواة بين الجنسين و التفاهم ما بين الثقافات والتنمية المستدامة، والنظر في التغيرات والتطورات الجديدة على المستوى المحلي والدولي من خلال مناهج محدثة وملائمة ثقافيا، تشكل فيه اللغة كمرحلة اولى للتعليم جسرا قويا وثابتا للعبور نحو معارف متطورة وقيما ومفاهيم تفتح افاقا عملية لاقتصاديات المعرفة التي تطرق باب سوق العمل، ترفع من مستوى الطموح الذي يقضي على البطالة والبطالة المقنعة، بحيث يوسع من مجال الحصول على العمل غير المقصور على الوظيفة الادارية، او بطلان التطلع عند وصوله الى وظيفة معلم حسب ثم ان الاطار يعمل على اعداد اشخاص يتمتعون بأخلاق عالية بناء على قيم ومبادئ دينية عليا، وعن طريق نبذ

التطرف، وتنمية التفكير المبدع والناقد، ومهارات حلّ المشكلات، واتجاهات مبادرة تؤدي الى إعداد أفراد سباقين الى التعلم من منظور التعليم مدى الحياة. (3)، وذلك ما يساعد على توسيع دائرة الثقافة الاجتماعية التي تسهم في رفع مستوى الفرد، وتمنحه رؤية تساعد على رقيّ المجتمع، فكلما كان المجتمع متطلعا نحو التقدم والتطور قلّت أو انعدمت فرص التأخر والانحطاط، لأن الانسان بطبيعته يخضع لمؤثرين اثنين، ذاتي وموضوعي، فالذاتي طبيعة بشرية مجبول عليها الانسان في حبه لما هو جديد، إذ الحياة لا تعرف التوقف وانما ديدنها التقدم الى أمام، أما الموضوعي فهو خضوع الانسان وتأثره فيما يحيط به من ايجابيات اكثر مما تؤثر فيه سلبيات التصرف، اذ التحقير الجمعي ذو تأثير بالغ على سوء التصرف لما هو منبوذ.

ان الاهمية الفاعلة للمناهج من خلال الاطار تكمن في ان كل واحد من ابناء العراق يحظى بأن يكون موضوع تقدير بوصفه متعلما، ويستمتع بالتعلم، انه يكسب ويطور مهارات وقيما واتجاهات، ويتزود بمعلومات حديثة وذات صلة، ويطور مجموعة من الكفايات المهمة، مثل كفايات التفكير والتعلم، بحيث يصبح متعلما مدى الحياة، وكفايات شخصية واجتماعية فيصبح فردا واثقا من نفسه منتجا، وكفايات المواطنة والعمل بحيث يصبح مواطنا يشعر بالفخر والمسؤولية.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاطار يحرص على توسيع نطاق التعلم لدى الفرد خارج اطار الموضوعات التقليدية مثل امكانيات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واهمية البيئة والتنمية المستدامة وان يصبح المتعلم مستقلا، لديه القدرة على الافادة من مجموع الفرص في مرحلة ما بعد المدرسة لمزيد من التعلم والعمل، فزيادة الفرص الثقافية في المجتمع تعني القضاء

على ا لتخلف، وتزيد من اعتزاز الفرد بنفسه ووطنه، تكون فيه الثقافة اللغوية الرابع الاول في مجمل النجاحات، لان اعتزاز الفرد بنفسه رفعة لامته وضمان للتطور في المجالات كافة، ثم ان الاطار يسعى الى تطوير قيم قائمة على التزام مشترك من حيث الهوية العراقية والتسامح واحترام الاخر، والعدالة الاجتماعية، بما في ذلك احترام حقوق القوميات الاخرى، لان العراق وطن العرب والاكرد والترکمان والاطياف الاخرى، والمساواة بين الجنسين اذ لا يمكن للامة ان ترقى بالرجل حسب، وانما باحترام المرأة، وصون كرامتها واعطائها حقوقها الانسانية، وكذلك الشمولية والتماسك الاجتماعي و الديمقراطية، والتنمية المستدامة (4) ان الثقافة لا تقوم من خلال الاطار العام للمناهج الا بعد القضاء على افكار النوع الواحد وقرار مبدأ التنوع الفكري، وكذلك القضاء على مفاهيم عسكرية المناهج والعنصرية والطائفية والعنجهية واجتثاث "فوبيا" النظم الدكتاتورية من صدر التلميذ والمعلم على حد سواء وزرع بذور الثقة بالنفس وحب الحرية ورفض كل مفاهيم الحقد والانتقام، لانه لا يمكن تصحيح الخطأ بخطأ أذح.

- اهداف المناهج:

لكل طموح وسعى غاية وهدف يتوسل من خلالها الانسان لبلوغ ما ينشده ويرنو اليه بصبر وترقب دقيقين، وذلك من بداهة الامور، اذا لا حياة من غير هدف، ولا بلوغ لهدف مهما كانت مهماته هينة أو بعد لأي من تخطيط وتنظيم واعداد، وذلك ما لا بد له من ان يكون في المناهج الدراسية لكونها اللبنة الاساسية في صناعة الاجيال التي يقع على عاتقها بناء الحياة القادمة، لما يجب ان تكون دقيقة، تحسب للمجهول حسابه حرصا منها على الحقيقة المستقبلية لحياة القادم من الامور، لذا تقوم الدول عامة بمراجعة مناهجها الوطنية لضمان انها تعد افرادا لتحديات

الزمن القادم، زمن التطور للقرن الحادي والعشرين والتغير الاجتماعي، وهو امر مفروغ منه في التحولات للميادين كافة، فكل تراكم كمي يولد تراكما نوعيا، يخلق حياة جديدة بالنسبة إلى الإنسان الذي ينشد الحياة الحرة الكريمة؛ فالمعلومات تتدفق عبر العالم بمعدل لم يسبق له مثيل، حيث تم احتساب ان المعرفة البشرية تتضاعف كل(4) اربع سنوات، وهذا ما لا يستطيع المنهج التقليدي الذي لا علاقة له بالموضوعات والمفاهيم القديمة وامجادها اذا تم تعطيله، ان هناك مطالب جديدة مفروضة على الافراد تتطلب منهم معرفة مختلفة ومجموعات جديدة من المهارات والاتجاهات التي يشار اليها بالكفايات (5).

ينبغي لهم ان يصبح العراقيون متعلمين ناجحين مدى الحياة، وذلك ما يمكن ان نعهده من الاهداف الرئيسية العامة، فالمدرسة اصبحت قاصرة تجاه الثورة العلمية من التطور، ذلك لان حركة التغيير سريعة للغاية يتطلب من الافراد المتعلمين تطوير حبهم للتعلم بالشكل الذي يمكنهم من تقبل التغيير، ما يتوجب عليهم ويتطلب منهم التمتع بالثقة بالنفس والمرونة لمواجهة التحديات التي ستواجههم، كما ينبغي لهم ان يعيشوا حياة منتجة، تمكنهم من المشاركة بايجابية في العمل وفي المجتمع.

ان على ابناء العراق ان يكونوا مواطنين فخورين، لهم جذور متأصلة في بلدهم و ثقافتهم، وعليهم ان يتعلموا ان يلعبوا دورا نشطا ومسؤولا بوصفهم يقدرون قيمة تراثهم و ثقافتهم، وفي عالم يتزايد فيه تاثير العولمة فما له تاثير في اللغة مثل الوفاة العاملة في بعض البلدان العربية وبخس اجور عيشها، والاعتماد غير المحدود على الوفاة الاجنبية ذات السحنة البيضاء و الاغراء المادي لها من حيث الرواتب و السكن والتأمين الصحي والنقل تجاه الاحتفاء باللغة الاجنبية، ايماننا من ابناء العروبة بارتفاع المستوى المعرفي والتربوي والحضاري من خلال الوافد

الاجنبي من دون ان يسجل ذلك الاهتمام اي تطور نوعي على مستوى الفرد أو المؤسسة، أو المعهد، في الوقت الذي بدا ينحدر فيه التعليم الى مستويات مخيفة. والانكى من ذلك ان درس اللغة العربية في المدارس الخاصة اصبح ثانويا لا الزاميا، وقد يأتي اليوم الذي يصبح فيه درس اللغة العربية اختياريا في المدارس الرسمية الحكومية، وحينها لا ينفع الندم، لان ضياع اللغة يعني ضياع إنسانها وأمتها.

ان الهدف من بناء المنهج من خلال إطاره هو أن يؤسس نهج الافراد في حياتهم ليطورا قيمهم، كي تعطيمهم وجهة واضحة لحياتهم وينبغي ان يكونوا واضحين بشأن هويتهم العراقية، وان يلتزموا بالعدل والديمقراطية والتسامح واحترام الجميع، وينبغي لهم ان يطوروا مجموعة من المهارات تمكنهم من تطبيق المعرفة التي يكتسبونها في هذه الموضوعات بتفكير ناقد ومبدع ومستقل واستقصائي، ومعالجة المعلومات وحل المشكلات، واتخاذ القرارات على ان تكون لديهم ثقة عالية بالنفس لمواجهة التحديات، وان يكونوا قادرين على التعامل مع عواطفهم للمشاركة بصورة ايجابية في المجتمع، انهم يحتاجون الى تطوير مهارات مواطنة تمكنهم من المشاركة بنشاط ومسؤولية في المجتمع، ومن تحمل المسؤولية الفعالة ازاء البيئة، وللعمل بفاعلية في اقتصاد المعرفة العالمي، ما يتطلب ان تكون لهم جذور متأصلة في بلدهم وثقافتهم تكون للغة الخطوة الكبرى في الاهتمام والاعتزاز.

ان الاهداف العامة المذكورة آنفاً والتي تأسس على وفقها الاطار لا بد لها من ان تكون مصممة على اسس وتوجيهات الدستور العراقي والفلسفة التربوية والاستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم التي تعتمدها الوزارة و ان يكون هذا المنهج مترابطاً، يعزز التقدم المجدي نحو تحقيق

معايير عليا في مجالات التعلم كافة، يعكس آخر التطورات العالمية ويوازن بين المعرفة ومهارات التعلم، وتنمية الاتجاهات ويتصل بحياة المتعلمين واحتياجات التعلم ومرحلة التطور لديهم ويوفر توجيهها مستقبليا ومساعدة في الانتقال الى سوق العمل، ويعكس الثقافة والبيئة المحلية (6) مما يتوجب أن تنعكس هذه الاهداف على الكتب المدرسية التي لا بد لها من ان تطلع عما كانت عليه في ثمانينات القرن المنصرم، لكنها تضع العراقيل امام تأثيره وتحويله من ضعف عملية اعداد المعلمين وتدريبهم لدعم تطبيق المنهج الجديد ذي الجودة، واستخدام طرائق التقويم ذات الطراز القديم وادواته، وكذلك انعدام وجود قاعدة بيانات لواقعي المنهج ومؤلفي الكتب المدرسية المحترفين، فلقد اثبتت الدراسات البيانية ان العراق يخسر سنويا قرابة (1500) الف وخمسمئة طالب وطالبة في الامتحانات العامة للدراسة الاعدادية بسبب الكتب المؤلفة من لدن اساتذة الجامعات لارتفاع مستوى التأليف على امكانية طالب الدراسة الاعدادية وقدرته، فالجامعي لا يقدر على مخاطبة عقل الطلبة في المرحلة الثانوية بحيث يظل قلمه غير قادر على إدخال المادفي ذهنية الطلبة، وتظل بحوثه امام اعينهم ومداركهم بضاعة مزجاة، ما حدا بدائرة المناهج الى ان تعيد النظر بنوعية المؤلف ومواصفاته في ان يكون ميدانيا، يخضع لدورات تدريبية توسع من مداركه، يقيمها مركز، يؤسس قريبا تحت عنوان " المركز الوطني العراقي للمناهج " يكون بمثابة الاستراتيج، يضح بدوره عناصر كفاءة وقادرة على مخاطبة عقل الطلبة من خلال الكتاب المدرسي الذي تعنى بتأليفه وحدات المديرية العامة للمناهج، ولا يكون ذلك مقصورا على مناهج التعليم العام، وانما سوف يطور المتعلمون الكفايات المتعلقة بالحياة والعمل، وإيلاء الاهتمام في تحقيق التوازن بين اكتساب المعرفة ذات الصلة وتطويرها، والمهارات والمواقف التي ينبغي أن تكون معروفة من جميع المتعلمين مع اكتساب المعرفة ذات الصلة وتطويرها، والمهارات والمواقف التي ينبغي ان تكون معروفة من جميع المتعلمين مع اكتساب المعارف وتطويرها

وتتمية تلك المهارات التي ترتبط بمجالات معينة من التعليم والتدريب، مثل الاقتصاد والتجارة والصناعة، والزراعة والخدمات وتدريب المعلمين، فضلاً على تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة قدر الامكان، بحيث يمكنهم الإفادة من الاهتمام والدعم الكافيين من اجل تطوير امكاناتهم ومهاراتهم وشخصياتهم من خلال الاستمتاع بالتعلم ضمن سياق تحفيز وتمكين البيئات التي هي على صلة جيدة بمدارس اخرى وللمجتمع الاوسع.

- فاعلية المناهج:

قال المفكرون التربويون قديماً: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر وذلك صوت ظل يرن في اذهان المعنيين بالعملية التربوية، اذ من خلاله تبقى المدرسة الارض الطيبة الخصبة لبناء الانسان في خلق الاجيال التي تأخذ على عاتقها بناء الحياة وتجديدها، ولا يكون ذلك الا من خلال مناهج فعالة مؤثرة تعتمد الخلق والابداع، تسلح المتعلمين بالمعرفة الملائمة بحقوقهم الانسانية الاساسية بوصفهم أناسا مواطنين في عراق ديمقراطي، فضلاً على مسؤولياتهم والتزاماتهم ضمن الاسرة والمدرسة والمجتمع المحلي، وينبغي بناء الكفايات المرتبطة بالمواطنة التشاركية على أساس قدرات المشاركة في حوار مدني، والعمل بالتعاون مع الاخرين، كذلك لا بد من تعلم العيش معاً من خلال التفاهم بين الثقافات بالنظر الى التنوع العرقي والديني في العراق، فضلاً على سياقات الحرب وأثرها في النزاعات، لان العراق خارج توا من أتون حرب دامية مضت عليها سنين طوال خربت الحرث والنسل، واتت على الاخضر واليابس ما ادى الى ان يصبح هذا الوطن صاحب الارض الغناء بالمال والغنى سافلاً وعاليا بالخير الثقافي والبشري والغلاتي الى افقر بلد يهاجر عنه ابناؤه الى اقصى اقاصي الارض، يستجدون لقمة العيش،

يفترضون الخوف ويلتحفون الذل والهوان بسبب السياسات الخرقاء، لذا ينبغي ان يتسلح المتعلمون في وطن الفسيفساء بالمعرفة والمهارات والاتجاهات الخاصة بالتعلم للعيش سويا بناء على قيم التسامح واحترام الذات والآخرين، وأن تضع الأغلبية عبقرية التنزيل العزيز في قوله سبحانه " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات/ 13). كما ينبغي ان يكون الطلبة على وعي بالجذور المحتملة المختلفة للنزاعات، وأن يكونوا مسلحين بمهارات ادارة النزاعات البناءة، وأن يكونوا قادرين على تحديد التحيزات ومحاربتها وبألوانها كافة الناشئة عن التمييز والعنف بوصف ان التنوع ثراء وفرصة للنمو بدلا من أن يكون تهديدا لهم او قيادا، وهذه مهمة يجب النظر اليها بكل دقة وتأکید؛ لاستئصال شأفة السياسات التي مزقت قوى الشعب العراقية إبَّان النظام البائد الذي اسس وأرسى سياسات النوع الواحد والفكر الواحد واعتمد مبادئ الدكتاتورية والعنصرية والعنجهية وسياسة فرق تسد وستعمل المناهج الجديدة على تقوية المتعلمين بذلك.

ان الافراد والمجتمعات يطمحون الى معيشة فاضلة، تقوم على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ولكنهم يواجهون محدودية الموارد والتهديدات البيئية، لذا ينبغي تزويد المتعلمين بكفايات من اجل فهم وتطبيق مفهوم التنمية المستدامة، وقيمها ومبادئها، وممارستها، ذلك لان احترام البيئة وتشجيع انماط الحياة الصحية، والاسهام في تعزيز الطاقات المتجددة، والاستعداد لمنع الكوارث ومواجهتها، تعد جميعا اجزاء مهمة من تطوير الكفايات ذات الصلة بالتنمية المستدامة، وهذا كله يخلق انسانا يتخذ من مبادئ الحفاظ على الارض كوكبا دائم النماء والتجدد منطلقا انسانيا يعبر عن اعتزاز الفرد المواطن بإنسانيته وامته، وما يسهم في الابقاء على معلمها من لغة وتراث وتقاليد، تكون فيه الامة لبنة اساسية في صرح الحضارة الانسانية. ومما تجدر الاشارة اليه هو وجوب التعامل مع المساواة الجندرية بطريقة خاصة، وينبغي تزويد المتعلمين بكفايات لفهم

المساواة بين الرجل والمرأة والاعتزاز بها، وان يكونوا على استعداد لمحاربة جميع اشكال التمييز القائم على النوع الاجتماعي والتمييز والعنف، إنه ينبغي ان يفهموا ويعتزوا بالطابع المتبادل لادوار النوع الاجتماعي، والقيمة المضافة للمساواة الجندرية والمتمثلة بالاحترام الذاتي والثقة بالنفس للمرأة فضلا على المنافع الشخصية والمجتمعية الناتجة عن المشاركة الكاملة والمتساوية للمرأة في الاسرة، و في الحياة المهنية والعامة.

وينبغي ايضا تزويد المتعلمين بالمهارات الحياتية، ومن ضمنها مهارات الاتصال، اي: الاستماع الى الآخرين، والتعبير عن الذات والحوار المدني والقراءة والكتابة من خلال رفع كفايات التفكير والتعلم في المشاركة في الحوار المدني، والتعامل مع القواعد اللغوية في الاستخدام الامثل لها ببناء الاسلوب القويم في الحوار والاقناع، لان اللغة حبل التواصل والنجاة من مأزق التصادم فضلاً على الوعي بإمكانية الابداع في استخدام اللغات، كما في الشعر، والتمييز بين أنماط الاتصال الشفوية والخطبة المختلفة، واستخدامها على وفق الاغراض والجماهير المحددة. إن عناية المناهج باللغة امر غاية في الاهمية، لاعتماد وحدات المناهج في بلوغ غايتها وأهدافها على المفردة اللغوية بوصفها حلقة الوصل بين المتلقي والكتاب والميسر، أي: المعلم ولا سيما المرحلة الابتدائية في نظامها التربوي، لانها تشكل للبناء الاساسية الاولى، وتؤلف خط الشروع الاول في ارساء قواعد المناهج التعليمية والمعرفية والتدريسية المتعاقبة بعدها (7).

كما ينبغي تزويدهم بمهارات الإعلام، ومهارات صنع القرار، والمخاطرة، اي: الربط المناسب بين القرارات والنتائج، وتقييم المخاطر وتوقع الاثار، وتقييم الفرض، واتخاذ قرارات مستتيرة وطلب المساعدة، ومهارات التعاون من خلال العمل ضمن فريق (8). إن المتعلمين بحاجة الى

الاستعداد لعالم العمل بناء على كفايات تقييم احتياجاتهم ومصالحهم وقدراتهم، والقدرة على اتباع الارشادات، والالتزام بالوقت واحترام المواعيد النهائية، والقدرة على العمل مع الآخرين، والابداع والمبادرة والالمام بمعرفة سوق العمل الحالي، لما تشكله اقتصاديات المعرفة من كسر الطوق الذي ظل عليه الدارس العربي في الاعتماد بعد التخرج على الوظيفة الحكومية معلما او جنديا حسب . وضرورة إتقان تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والمعرفة المالية، ومهارات التعلم مدى الحياة لمواجهة بيئة اقتصادية سريعة التغير وتطوراتها غير المتوقعة.

إن ذلك فيما تقدم لا بد من ان يكون فاعلا في بناء الاطار العام للمناهج وسريعا، لان التطورات العلمية والتقنية تحصل في اللحظات لا في الساعات، أو الايام، وان عدم اللحاق بالركب الحضاري المتقدم يعني السكون الحركي لمجمل مفاهيم التطور، و تكون نتيجته- حتماً- الضياع والتخلف، والبقاء عالية على إبداع الامم الاخرى، ما يؤكد بقاء سيطرة الدول الصناعية المتقدمة، ويسهم في هجرة العقول عن أوطانها، وضياع مستقبل الوطن.

إن من اللازم في هيكله المناهج ان تكون هذه الطموحات التي يخطط لها الاطار مستقطبة جميع الوحدات في المناهج من دون تمييز، وعلى وفق الاختصاص والاهتمام، ففي مادة الرياضيات تكمن مهمتها في تمكين الطلبة من التفكير بصورة مستقلة وبطرائق مجردة، ومن التفكير بمنطق وحل المسائل وتقييم المخاطر، ذلك لان التفكير الرياضي مهم لافراد المجتمع الحديث كافة كعادة للتفكير وللاستخدام في مكان العمل، وللمشاركة في اقتصاد المعرفة، ولفهم العلوم الصرفة، والاعمال التجارية والمالية. ان اعتماد الاطار لهذه العلوم يشجع الطلبة على التفكير الناقد والمبدع، ويظهر كيفية استخدام المعرفة والفهم في العلوم والكشف عن كونها

متجذرة بالادلة والبراهين، ناهيك من الدراسات الاجتماعية فانها تثير فضول الطلبة وخيالهم بشأن: من نحن؟ ومن أين نحن؟ وأين نعيش؟ ثم انها تربط الماضي بالمستقبل ويعين بصيرة على الحاضر، اعتمادا على المفهوم القائل: ان الحاضر غرس الماضي، والمستقبل جني الحاضر، وتساعدهم على فهم مكانهم في العالم، وتسهم من خلالها في خلق مواطنين مسؤولين. كما أنهم يستكشفون ثقافات ومعتقدات وقيما وشعورا بالانتماء الى وطنهم ويطلعون على كيفية تنظيم المجتمعات وتشكيلها بموجب اعمال الناس وقيمهم، وكيفية تمكين المجتمعات المحلية من ان تعيش وتعمل سوية.

ولا يقل الاهتمام بالفن التشكيلي والموسيقا والرياضة شأنًا من المواد الدراسية الاخرى، لانها تسهم بفاعلية في بناء الانسان واكتمال بنائه النفسي والجسدي، والقدرة على معرفة ذات الانسان من خلالها لان العقل السليم في الجسم السليم (9).

المدرسة العراقية:

في عمق تاريخ العراق، بلاد "الميزوبتاميا" ارض بلاد ما بين النهرين، الرافدين، التي حُطَّ على ارضها اول حرف في تاريخ الانسانية. وأقيم صرح اول مدرسة للبشرية، وانطلق بحارة "سومر" من جنوبها عند التقاء دجلة والفرات لنشر حضارة ((الأتوناكي)) (10) الذي يزعم بعضهم انه قدم من كوكب آخر، لكنه هو الانسان العراقي الذي بنى مدرسته في القديم الاثيل، وحافظ على ديمومتها رغم القهر والاضطهاد وامية الجماعات، بنيت المدرسة على أرض هذا الوطن العريق

بالتقافات والحضارات رغم تعاقب سوابك الخيل التي عاث قتلها فسادا وخرابا ودمارا في بغداد عاصمة الدنيا حتى أحالوها قاعا صفصفا واستحال ماء دجلة الى سيل احمر لكثرة ما القي فيه من كتب واجساد، لكن باب العلم لم توصل بل ظلت المدرسة المستنصرية تستقبل الوافدين من اصقاع الدنيا تقدم لهم الزاد والمزاد وغذاء العقل العلمي والفكر الاسلامي على حد سواء، وتلتها المدرسة النظامية، حتى اذا ما عبرت جحافل الزمن بما بقي لها في المزايدة فتحت المدارس ابوابها ثانية إبان العصر الحديث فقد حدثت بعض التطورات التعليمية في العراق عن طريق البعثات التبشيرية التي قامت بفتح مدارس خاصة لها للطوائف المتواجدة في العراق، ما أثار حفيظة السلطان العثماني في بغداد ليلتفت الى إصلاح التعليم في هذا البلد من أجل إثبات الوجود أمام التنافس الاوربي القادم، ففتح "مدحت باشا" أربع مدارس هي:

المدرسة الرشدية "نسبة الى رشيد باشا رئيس الوزراء" عام 1839م، والمدرسة الاعدادية العسكرية، ومدرسة الفنون والصنائع، لكنها اعتمدت اللغة التركية، وفي عام 1913 اصبح التعليم الرسمي باللغة العربية إلى جانب اللغة التركية. ولما كانت المناهج من أخطر المهمات في تاريخ الشعوب فلقد بدأت عملية التأسيس منذ عام 1921 في المدارس العراقية، و اعتمدت أساساً ترسيخ قدسية القومية العربية. وقد أكد ساطع الحصري (ت 1968م) أن على المعلم أن يقوي الشعور القومي بصورة خاصة مع ضرورة بث الايمان الكبير بأمجاد الامة العربية وقد نجح هذا البرنامج التعليمي في تخريج اجيال موالية تماماً للقومية العربية من خلال الدروس المنهجية (11) لكن المهمة التعليمية من خلال هذا النهج سارت في طرق سياسية ملتوية بعيدة عن الاحتفاء باللغة العربية كمفهوم علمي أكاديمي ينظر بعين الرعاية والتقدير لهذه اللغة التي شرفها الله سبحانه بالذكر الحكيم، بل شطت هذه الدعوات، واتخذت منحى سياسياً بعيداً عن المهمة اللغوية التي كان من الاجدى ان تتفانى من أجلها، ذلك لان العراق متعدد القوميات

والاثنيات، ومتعدد اللغات، بعضها يشكل ركناً أساسياً إلى جانب اللغة العربية، مثل اللغة الكردية والتركمانية إلى جانب الآشورية ولغات الأطياف الأخرى، ما يجعل هذا المسلك لا يعود بالفائدة على خدمة اللغة العربية لغة التنزيل العزيز من ناحية مزاحمة اللغات لها ثم إنه الوطن الذي تعرض لأكثر من هجمة استعمارية غاشمة، عصفت بترائمه وخيراته وأهله شراً ودماراً وزاحمته بشتى أنواع المفردات التي ما زالت أسنة أهله تلوكها، فلو كان الاتجاه الفكري والسياسي وطنياً لكان البحث الجاد في الحفاظ على لغته العربية الصحيحة السليمة أنجع وانفع، ولكانت مواجهة الزحف اللغوي واللهجي غير العربي أقوى وأشد أثراً، إذ ما علمنا أن الذين تزعموا الحركات القومية للدفاع عن العروبة لم يكونوا عرباً صليبية، وإنما كانوا أصحاب صلات بدوائر لا تريد للعربية أن تسمو ولا تريد لمفكرها أن يبدعوا سبلاً تحمي اللغة، وطرائق تفتح الأفاق أمام قدرة العربية على ملاءمة تطور العصور، وهي القدرة على ذلك، قال الشاعر حافظ إبراهيم.

انا البحر في احشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي

لقد أغفلت مناهج الثلاثينات والأربعينات من القرن المنصرم مبادئ الحفاظ على تعليم اللغة، ولم تكلف نفسها عناء البحث عن طرائق تعليمية تساعد على التسريع في التعليم اللغوي للمبتدئين إذا ما علمنا أن الأمية كانت متفشية بنسبة كبيرة جداً، إن المسؤولين عن العملية التعليمية في العراق إبّان أواسط القرن المنصرم قد وضعوا مناهجاً دراسياً لا يمتلك مطلقاً خصوصية للمجتمع العراقي ومكوناته المتنوعة من ديانات وقوميات غير المشابهة لغيرها من المجتمعات العربية الأخرى. أحدثت خلافاً في عمق العملية التربوية، لأن فاقده الشيء لا يعطيه. إن الولاء لبنة أساسية في صرح أي عمل وطني إنساني، واللغة في تعليمها والدفاع عنها أمر بالغ الأهمية والحساسية، نحن بحاجة جدّاً مأساة إلى مناهج لجميع العلوم، وللدرس اللغوي على وجه التحديد، ينهل من

جميع المناهج العالمية المتطورة ما يلائم الحس اللغوي العربي صوتا ورمزا للمفردة العربية رافضا للنقل الحرفي الآلي الذي يلائم اللغات الاخرى المنتمية الى عائلة لغوية واحدة، إن المركز الوطني العراقي للمناهج ضرورة قومية انسانية لتعليم الاجيال القادمة التي اصبح الاعداد المنهجي اللغوي لها ضرورة بالغة للحفاظ على الهوية اللغوية.

لقد بات من اللازم ان تعيد الدوائر التعليمية والتربوية في وزارة التربية النظر في المناهج، ولا سيما مناهج المرحلة الابتدائية حتى تستطيع محاكاة اطفال الالفية الثالثة، وتقلع عن مناهج الثلاثينات والاربعينات من القرن المنصرم للبون الشاسع بين هيكليتها وطرائقها، وبين عقلية التلميذ الحالي إذا ما علمنا أن البلدان المتطورة وبلدان العالم الثالث السائرة في ركبتها تعيد النظر في مناهجها اكثر من مرة على مدى خططها الخمسية، وربما أقدمت بعض الدول على تغيير مناهجها بمدة لا تتعدى العام الدراسي، ذلك لان التطور العلمي والتقني لا يتجاوز الأيام، وأحيانا الساعات، إن تغيير المناهج على وفق التطورات التقنية واقتصاديات المعرفة وسوق العمل ضرورة حتمية وإذا لم يكن هناك تبديل وتغيير فيها تصبح المناهج الجامدة والراكدة بضاعة مزجاة.

أثر الإطار العام في تعليم اللغة:

حتى تكون العملية التربوية ذات اثر فاعل في إنجاح المهمة المدرسية ولجميع المواد الدراسية من القراءة والكتابة إلى الحاسوب وتقنيات الجينات والحوسبة الكيميائية والرياضية يتوجب تألف وتلاحم العناصر الثلاثة للعملية وهي: الكتاب والمعلم والمتعلم، لما في ذلك من ضرورة لخلق متعلم قادر على إتقان اللغة، ومحاكاة ما تتواضعه من أسلوب وسياقات بلاغية لخلق مهارة الاتصال بالآخرين، لأنها تدني المتعلم من الاجادة وتحفز به إلى العمل الايجابي، وتنمي مواهبه

وإمكاناته اللغوية، وتكسبه سلوكاً اتصالياً جيداً. وليس هناك من فرق بين بداية المهارة عند تعلم اللغة، القراءة والكتابة وبلوغه مرحلة الابداع، ولا نخفق في القول إذا ما عدنا أهمية التعلم في البدايات على مرحلة النضوج والعطاء بوصف أن أول الغيث قطر ثم ينهمر، وهذا يعني أن مهارة الاتصال ليست غاية، إنما هي وسيلة بين التلميذ ومعلمه، وبين المتعلم ومجتمعه (12) لتطبيق ما حصل عليه من مهارة، يكون المعلم صاحب الاهتمام الأول، لأنه حلقة الوصل بين الكتاب والتلميذ، هذا المعلم الذي لا بُد أن يُعد إعداداً جيداً من خلال توفر الرغبة لديه أن يكون معلماً، يخضع لاختبارات تحريرية ومقابلات إلى جانب بهاء الطلعة وحسن القوام وسلامة النطق، ان يكون تخرجه في مراكز جامعية، أي ان يكون معلماً جامعياً اخذ من كل علم خاص بالتربية والتعليم بطرف، ناهيك من ثقافة لا بأس بها، تمكنه من السيطرة على جو الصف، وإقناع المتلقي بحيث يترسم خطاه، ويحلم أن يكون مثله، وأن يكون حاضر البديهة، يدخل بحبه ويعجب تلاميذه، ليجد له موقعاً في قلوبهم قبل المادة المعني بها.

إن سلامة ونجاح المعلم في مهمته لا تأتي من فراغ، وإنما من علمه ومعرفته، ومن خلال تدريبه في معاهد للتدريب (13) تعرض لما هو جديد من معلومات منهجية وطرائقية حديثة، تتكرر عملية تدريبه في كل عام دراسي مرة او مرتين على أقل تقدير، وأن تختار الدوائر المعنية وقتاً مناسباً للتدريب، يكون فيه المتدرب المتلقي مستعداً للدورة لا أن تكون إسقاط فرض، وبشرط ان يكون المدرب ميدانياً لا أن يكون استاذاً جامعياً تتكرر صورته في كل حين وزمان، ونجاح كل ذلك مرهون بالحافز المادي لراتب المعلم، او المدرس على حد سواء، اذ الجعالة حين تكون " قوت لا يموت" تحكم على العملية التربوية بالفشل الذريع.

ولا يقل الكتاب المدرسي عن المعلم من حيث الأهمية وإنجاح العملية التربوية والتعليمية، إذ لا بد له من أن يكون قريباً من قبول التلميذ له، من حيث عنايته بالألوان الأربعة التي تدخل السرور على نفس التلميذ وجودة التصميم، ونوعية الورق في الطباعة، أما المادة فلا بد لها من أن تكون ميسرة مقبولة غير منفرة، وفيما يخص اللغة وتعليمها أن تكون المفردة مضبوطة منطوقة بشكل سليم، لمقاطع حروفها سلاسة عربية عُهدت فيها بحيث يكون اختيار المفردة مناسباً لإظهار الحرف المراد تعليمه، وأن تكون المفردة مألوفة عند المتلقي لتساعد على سرعة التعليم، ولما كانت اللغة العربية لغة التنزيل العزيز فإن تخصيص درس لحفظ قصار السور على مدى المراحل الدراسية، الابتدائية والثانوية من غير إثقال بدروس التربية الإسلامية، يكون ذلك على وفق قراءة القرآن الكريم بصوت تسمعه أذن القارئ، فإن ذلك كفيل بتحسين نطق لسان التلميذ والطالب، إذ إننا لا نريد أن نعد الطلبة فقهاء ولا وعاضاً، فإن ذلك له معاهده ومراكزه. إن من مقومات صيانة اللغة من اللحن والخلل في النطق تحبيب قراءة القصائد الشعرية والخطب الرنانة لخطباء عرفهم تاريخ الأدب والسياسية (14) وعدم الإثقال على كاهل الطلبة، فينبغي أن يكون ما يعطى من قواعد اللغة في مقتبل العمر مناسباً لمرحلة التلقي العلمية، فلا يشغل قلب الصبي بعويص القواعد النحوية كما هو حال كتبنا الآن ما جعل اللغة من خلال القواعد علماً منفراً، عكس على الطالب بعده عن لغته وبذلك خسرنا مرتين، الأولى عزوفه عن قواعدهما. والثانية اخفاقه في النطق الصحيح للغته (15).

ولا تقل البيئة المدرسية شأنها عما ذكر آنفاً، لأننا نصبح كالراقم على الماء إذا لم يكن المكان ملائماً ومناسباً للتعليم، فالأعداد المكثفة في الصف تضيق فرصة التعليم، وتجعل جهد المعلم مبدداً لا نفع من ورائه، ما يجعلنا نطالب بالعدد المعقول والمقبول داخل الصف، والعمل على فك الأزواج المدرسي في البناية الواحدة، لأنه يقلل من مدة الدوام للمدرسة، أما إذا كانت البناية

المدرسية ثلاثية الدوام فتلك مأساة تعليمية، إذ ما علمنا أن منظمة اليونسكو تطالب بألف ساعة للطالب سنويا حتى يكون تعليمه مبنيا على اسس صحيحة. أما الادارة المدرسية فلها أثر فاعل ودور مهم في إنجاح العملية التعليمية والتربوية، لانها العقل المدبر والمحرك الفعال للدوام، ونجاح المدرسة بنجاح إدارة مديريها، ومدى انسجامه مع الهيئة التعليمية، لأن الناس بملوكها، وذلك ما يعكس أثره على الدروس جميعها وعلى حسن تعلم اللغة ومساقاتها على وجه الخصوص .

إن الإطار العام للمناهج خليج غزير الرواء من خلال روافده التي لا يقل شأن بعضها عن بعض، وإنما هو كالجسد القوي المتناسق يكمل بعضه بعضا.

الخاتمة:

تظل اللغة الجسر الآمن وحبل النجاة المتين للعبور إلى وادي العلوم والمعارف لأنها أم العلوم، والعناية بها وصيانتها من العجمة ضرورة تاريخية واجتماعية لانها اللسان الناطق بهوية أبنائها، لذا كان اهتمام الاطار العام للمناهج الدراسية العراقية باللغة وتعليمها والحفاظ على سلامتها أمراً بالغ الأهمية، فقد حفلت فقرات الإطار بإرساء قواعد البناء اللغوي، والبحث عن طرائق علمية متطورة تسهم في تجديد قواعد نحوها والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في اعتماد اللغة عنصراً فاعلاً في تسهيل قواعده العلوم والآداب، واستجابة المفردة

العربية للمصطلح غير العربي وهجران النقل الآلي في العزوف عن الدخيل وتراكمه للإبقاء على
ديمومة اللغة العربية المعطاء.

الهوامش:

1. الإطار العام للمناهج العراقية ص 18
2. الفلسفة التربوية ص 4
3. الإطار العام للمناهج العراقية ص 19
4. الإطار العام للمناهج العراقية ص 12
5. الإطار العام للمناهج العراقية ص 24
6. الإطار العام للمناهج العراقية ص 28

7. دليل كتاب قراءتي للصف الاول الابتدائي ص 3
8. الإطار العام للمناهج العراقية ص 33
9. الإطار العام للمناهج العراقية ص 38
10. نهاية العالم ص 18- 46
11. تاريخ التربية والتعليم في العراق 166
12. مهارات الاتصال ص 7
13. وثيقة بيروت ص 10
14. مقترحات تحسين المهارات اللغوية ص 1
15. النحو والتيسير ص 5

المصادر والمراجع

1. فوق المصادر التنزيل العزيز القرآن
2. الإطار العام للمناهج الدراسية العراقية، منظمة اليونسكو، عمان، الاردن، (د- ت)
3. تاريخ التربية والتعليم في العراق. د. احمد جودة، ط1، مطابع شركة نورس، بغداد-

العراق 2012م

4. دليل كتاب قراءتي للصف الاول الابتدائي، ط1، مطبعة الوقف الحديثة، بغداد، العراق (2011م).
5. الفلسفة التربوية وأهدافها، المديرية العامة للمناهج، وزارة التربية بغداد 2008م
6. كتاب قراءتي للصف الاول الابتدائي، تركي عبد الغفور الراوي، ط 6، الشركة العامة لإنتاج المستلزمات التربوية، بغداد 2012م.
7. مقترحات تحسين أداء المهارات اللغوية، د. مهدي الشمري، بحث غير منشور (د-ت)
8. مهارات الاتصال في اللغة العربية، د. محمد جهاد جمل، ط1، دار الكتاب الجامعي، العين، دولة الامارات العربية المتحدة 2004م.
9. النحو والتيسير د. فاضل السامرائي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد العراق 1994م.
10. نهاية العالم والتفوق الحضاري عند الكهنة السومريين د. احمد جودة، ط1، دار ضفاف، بغداد- العراق 2012م.
11. وثيقة بيروت، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت 2012 م.